وفي المحطة اخذ القطار يتحرك ٠

ـ وداعا يا التيناي وداعا يا نوري ٠٠ تعلمي ٠٠ تعلمي ٠

ـ وداعا يا معلم ٠٠ وداعا يا معلمي العزيز ٠

واندفع القطار واندفع معه ديوشين يصيح صيحته الاخيرة :

ـ التيناي التينـا ٠٠٠ ي ٠

صاح وكأنه نسي ان يقول لها شيئا مهما جدا ، رغم انه كان يعرف ان الاوان قد فات٠٠ وما زالت تلك الصرخة الصادرة من صميم القلب ، من اعماق الروح ، تدفع التيناي فـي دراستهـا حتى اصبحت اكاديمية ٠

ولم يلتقيا بعد ابدا ٠

بدا ايتمانوف في المعلم الاول اكثر غوصا في اعماق النفس البشرية ٠ واكتسبت لغتـه غنى وتلونا ، واكثر استخدامه للمونولوج الداخلي الهامس وكأنه يسر للقارىء بســـر شخصي ، وطرح بعض الاستطرادات التي كان يلجأ اليها في قصصه الاولى محافظا على الخط الدرامي ، متلاعبا بالزمن في قوة واقتدار ٠

□

في روايته الخامسة « ارض الام » يصل تصوير فجيعة ام فقدت اولادها وزوجها فـــي الحرب الى شمولية غنائية تتجاوز الزمان والمكان ، ان تولغوناي الفلاحة القرغيزية العجوز لم تتحطم ولم تنحن انها راحيل التي بكت اولادها وترفض ان تتعزى ، ولكنها راحيـــل الحديثة التي وعت الاسباب ، والتي تثور فيها قوة عجيبة ، قوة محاربة الشر ، تدافـــع بحبها وحزنها عن حق نساء العالم كلهن بان يكن امهات سعيدات ٠

قمة المأساة في هذه الرواية هو ذلك المشهد عندما تنتظر تولغوناي ابنها المحبـــوب « ماسالبيك » القادم من سيبيريا في طريقه الى الجبهة في قطار عسكري ، فبعد ما يقارب يوما كاملا من الانتظار على الرصيف تسمع الام صوت ابنها من قطار مر امام المحطة وهو يصرخ « مامـا » ٠

ماسالبيك قريب جدا « نفشت الريح شعره ، واطراف معطفه تضرب كأجنحة الطيـر ، وعلى وجهه وفي عيونه فرح وحرقة واسف ووداع » ٠ لقد ذهب ابنها الذي لن يعود امـا تولغوناي فقد ودعته بأن ضمت القضبان الحديدية الباردة ٠

وتتوجه تولغوناي الى الحقل الحبيب ، الى الارض المرضعة :

« ـ قولي لي ، ايتها الارض الحبيبة ، متى ، وفي اية ازمان قاست الام وتعذبـــت هكـــذا ؟

ـ لست ادري يا تولغوناي ـ هذه هي الحرب التي لم يعرف العالم في عصرك مثيلا لها٠

ـ اذن فلأكن انا آخر ام تنتظر ابنها هكذا ، لا قدر الله ان يضم احد القضبان الحديدية وان يضرب رأسه بالعوارض الخشبية » ٠